برنامج الدَّرس الواحد الأول

الدَّرس (٢)،

تطْرِيزُ

الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

علىٰ

كتاب الاعتقاد

للقاضي أبي الحسين محمّد بن محمّد ابن الفرّاء أبي يعلىٰ الحنبليّ البغداديّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمْدُ لله رَبِّنَا، وأَشْهَـدُ أن لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وحْدَه لا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَـدُ أَنَّ محمَّدًا عَبدُه ورسُولُه.

أمَّـا بَـعْدُ..

فهـذَا هُـو الـدَّرسُ (**الثَّـاني**) مِـن بَرنـامجِ الـدَّرسِ الواحـدِ **الأول**، والكِتَـابُ المقْـرُوءُ فيـه هُـو كتـاب: (الاعتقـاد) للقاضـي ابـن أبي يعلىٰ الفـراء الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ تعـالىٰ، وقَبـلَ الشُّروعِ في إقرائِه لا بُـدَّ مِـن ذِكـرِ مُقدِّمتَينِ اثنَتَينِ:

المقدِّمةُ الأولَىٰ: **التَّعريفُ بالمصنِّفِ**، وتَنتَظِمُ في ثلاثةِ مَقاصِدَ:

المَقْصَدُ الأَوَّلُ: **جَرُّ نَسبِه**، هو العلامة المشارك القاضي الفقيه محمد بن محمد بن حسين الفرَّاء الحنبلي،،المعروف بابن ابي يعلىٰ ، ويُكْنىٰ أبي الحسين.

المقصَدُ الثَّاني: **تاريخُ مَولِده**، ولد سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة (٤٥١).

المقصَدُ الثَّالثُ: **تاريخُ وفاته**، تُوُفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ست وعشرين وخمسمائة (٥٢٦)، مقتولًا في بيته، وله خمس وسبعون سنة رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

المقدِّمةُ الثَّانيةُ: **التَّعريفُ بالمصنَّفِ**، وتَنتَظِمُ في ثَلاثةِ مَقاصِدَ أيضًا:

المقصَدُ الأَوَّلُ: **تَحقيقُ عُنوانِه**: المدون علىٰ طُرَّةِ مخطوطة هٰذا الكتاب والسَّماعات الملحقة به ، تسميته بـ«كتاب الاعتقاد»، وبهذا الاسم طبع..

المقصَدُ الثَّاني: **بَيانُ مَوضُوعِه**، اشتمل كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلىٰ علىٰ مجمل المسائل العقدية عند اهل السنة ، كالإيمان والصفات الإلهية واليوم الآخر وما يتعلق بالنبوة والمفاضلة بين الصحابة وهِجران أهل البدع..

المقصَدُ الثَّالثُ: **تَوْضِيحُ مَنهجِهِ**، لقد كُتب هذا الكتاب جوابًا علىٰ سؤال رفع للمصنف ، عن مذهبه وعقيدته وما يدين به لربه، ليُستفاد منه ويؤخذ عنه ، فجاء في سِلك واحد بلا تبويب ولا ترتيب، ولٰكن مسائله تجتمع جميعا في كونها من مسائل الاعتقاد.

ويشير في اثناء سرد مسائله الىٰ الأدلة أحيانا من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، وربما يذكر شيئا من الآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم، وديدانه في كل ذلك الاختصار وعدم الإطالة، ولم يطل رَحِمَهُ اللَّهُ

إلا في مسألة واحدة وهي إقعاد الرب ﷻ للنبي ﷺ علىٰ عرشه فأطل في تقرير أدلتها وهي من المسائل المشهورة عند الحنابلة.

ولم يورد رحمه الله في ما ساقه من جملة المعتقد شيئا من المذاهب الرَّدية فلم يكن كتابه هٰذا إلا كتاب عرض وتقرير، ذكر فيه معتقد أهل السنة ليس غير، فلم يذكر شيئا من مقالات أهل البدع في مسائل الاعتقاد التي ذكرها.

۞۞۞۞

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ:

الحمد لله حتّىٰ يرضىٰ، ولا إلٰه إلّا الله العليّ الأعلىٰ، والحمد لله أهل الحمد ومولاه، ومنتهىٰ الحمد ومبتداه، والحمد لله الذي أخرجنا بعد العدم إلىٰ الوجود في خير الأمم، واختار لنا دليلا إليه من خلقه وأكرمهم عليه، ومن رسله أشرفهم لديه، وجَعله(١) أوّل السّابقين منزلةً، وأحسن النّبيّين رسالة، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الطّيّبين، صلاة تخصّهم وتعمّهم أجمعين.

أمّا بعد..

أعاذنا الله وإياك من التّكلّف لِما لا نحسن، والادّعاء لِما لا نتقن،وجنَّبَنا وإياك البدع والكذب، فإنّهما شرّ ما احْتُقِب، وأخبث ما اكْتُسِب.

فإنّك سألت عن مذهبي وعقْدي، وما أدين به لربّي عَزَّوَجَلَّ، لتَتْبعه فتفوز به من البدع والأهواء المضلّة، وتستوجب من الله عَزَّوَجَلَّ المنازل العليّة، فأجبتك إلىٰ ما سألتَ عنه، مؤمّلا من الله جزيل الثّواب، ورهبًا إليه من سوء العذاب، ومعتمدا عليه في القول بالتّأييد للصّواب.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فإنهما شرّ ما احتقب) الاحتقاب الإدخار ومن شر ما يدخره المرء البدعة والكذب كما ذكر المصفف رَحِمَهُ اللهُ.

(عَقْدي) العقد ما يضم الانسان في نفسه ويجمع عليه قلبه ،

قوله: (ورهبا إليه من سوء العذاب) خطأ من وجهين:

أحدهما: أن ما النسخة الخطية (وراهبا إليه من سوء العذاب)

الثاني: أن مقتضىٰ المجانسة في سياق الكلام أن يكون اسم فاعل ، فكما أنه قال: (مؤملا قبلها) ثم قال: (ومعتمدا) بعدها، فإن مقتضىٰ المجانسة في سياق الكلام أن يكون كما هو في النسخة الخطية (وراهبًا إليه من سوء العذاب).

(١) (وجُعل) غلط، والصحيح كما في النسخة الخطية: (وجَعله..).

فأوّل ما نبدأ بذكره من ذلك ذكر ما افترض الله تَعالىٰ علىٰ عباده، وبعث به رسوله صلىٰ الله عليه وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله ﷻ ومعناه التّصديق بما قال به، وأمر به، وافترضه، ونهىٰ عنه، من كلّ ما جاءت به الرّسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال تَعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

والتّصديق بذلك: قول باللّسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، وينقصه العصيان.

قوله: (صلىٰ الله عليه) اختصر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الصلاة علىٰ النبي ﷺ ولم يردفها بالسلام ، والصلاة عليه ﷺ مع السلام لها ثلاثة أحوال:

الحال الأولىٰ: قرنهما جميعا فيصلي العبد ويسلم كقولك مثلا ﷺ، وهذا هو أكملها ، وهو الموافق للأمر القرآني لقوله تعالىٰ: ﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

الحال الثانية: الاقتصار علىٰ الصلاة.

الحال الثالثة: الاقتصار علىٰ السلام.

وما ذكره بعض الفقهاء من كراهية هذه الحال الثالثة لا دليل عليه ، بل هي حال جائزة كسابقتها إلا أن الأكمل أن يجمع العبد بقوله: ﷺ، ولا يقتصر علىٰ واحدٍ من الاثنين دون الآخر.

ويُستثنَىٰ في الإيمان، ولا يكون الاستثناء شكّا، إنّما هي سنّة ماضية عند العلماء، فإذا سئل الرّجل: أمؤمن أنت؟ فإنّه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله..

هذه المسألة إحدىٰ مسائل الإيمان الكبار وتسمىٰ بمسألة (الاستثناء بالإيمان) وهو أن يقول القائل مثلا: أنا مؤمن إن شاء الله.

وخلاصة هذه المسألة ،أن المستثني له حالان لا ثالث لهما:

الحال الأولىٰ: أن يقوله شاكا فهذا محرم وقد يكون كفرا؛ لأن العبد مأمور أن يكون اعتقاده جزما، وإذا ورد الشك علىٰ الاعتقاد أبطله وأخرج صاحبه من الملة، وصار من جملة الكفار.

الحال الثانية: أن يقولها الانسان لا يرد بها الشك؛ كأن يقول مثلا إذا سئل: أمؤمن أنت؟ قال: أنا مؤمن إن شاء الله، ولم يدر في خلده أنه يريد الشك، فإذا قالها المرء غير مريد لشك فإن الحامل علىٰ ذلك أحد ثلاثة أمور:

* فإما أن يكون الحامل عليه بقوله: (أنا مؤمن إن شاء الله): الخوف من تزكية النفس والإقرار ما عليه من النقص في حق الله ﷻ، وهذا واجب.

* وإما أن يكون الحامل علىٰ ذلك التعليل، وأن ما يحوزه المرء من الإيمان هو بمشيئة الله ﷻ ، فلو شاء الرب ﷻ لم يجعلك مؤمن ، كما قال ابن القيم في «النونية»:

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما　　من خشية الرَّحمٰن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم　　فالقلب بين أصابع الرَّحمٰن

* والأمر الثالث: أن يكون الحامل علىٰ ذلك إرادة التبرك بذكر الله ﷻ، فهو يقول: مؤمن إن شاء الله، مريدا بالتبرك.

وهاتان الباعثان الأخيران من باب الجائز والمباح ، فللإنسان أن يفعل ذلك بلا غضاضة.

والإيمان والإسلام اسمان لِمعنيين، فالإسلام في الشّرع عبارة عن الشّهادتين مع التّصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطّاعات.

وهذه مسألة أخرىٰ من مسائل الإيمان العظام ، وهي الصلة بين هاتين اللفظتين الإسلام والإيمان ، هل هما حقيقتان مترادفتان أم متغايرتان.

وخلاصة والراجح الذي ذهب إليه جماعة من أهل العلم كأبي العباس ابن تيمية الحفيد وابن القيم وابن أبي العز وعليه أئمة الدعوة النجدية: أن الإسلام والإيمان إذا جاء مفردين دل كل واحد منهما علىٰ الآخر، فإذا ذكر الاسلام مثلا دخل فيه الإيمان وإذا ذكر الإيمان مثلا دخل فيه الاسلام.

أما إذا جاء مقرونين فإنه يفترق معناهما، فإذا قال الإنسان مثلا: وقد أمرنا بالإسلام والإيمان. فهنا تتغاير حقيقتهما، فيكون الإيمان دال علىٰ الاعتقادات الباطنة، والإسلام دالا علىٰ الأعمال الظاهرة.

فبهذا الاعتبار هل الصلاة من الاسلام أم من الإيمان ؟ من الاسلام.

وهل الخوف من الله ﷻ من الإيمان ام من الاسلام ؟ من الإيمان.

باعتبار أنهما قُرنا جميعا فصارا كل واحد منهما معنىٰ مختص به هو الذي ذكرته لك آنفا.

والقرآن كلام الله منـزّل غير مخلوق، كيف قُرئ، وكيف كُتِب، وحيث يُتلىٰ في أيّ موضع كان، والكتابة هي المكتوب، والقراءة هي المقروء، والتّلاوة هي الـمَتْلُوّ، وكلام الله قديم غير مخلوق علىٰ كلّ الحالات، وفي كلّ الجهات، فهو كلام الله غير مخلوق ولا محدث ولا مفعول، ولا جسم، ولا جوهر، ولا عَرَض، بل هو صفة من صفات ذاته وهو شيء يخالف جميع الحوادث.

هذه الجلة الذي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في ما يتصل باعتقاد أهل السنة في القرآن الكريم ، ذكر فيها طرفا من الألفاظ التي ينبغي أن يُعرض عليها فإن أهل السنة جادتهم لزوم ما في القرآن والسنة وما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح من الألفاظ ، فليس في كلامهم رحمهم الله تعالىٰ نفيا ولا إثباتا (جوهر ولا عرض ولا جسم).

فكان يكفي أن يقال: (**إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق**) ، وفيما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بقوله: (وكلام الله قديم) فيه نظر:

فإن كان المراد أن جنس الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديم فنعم، فإن الله لم يزل متصفا بالكلام.

وإن كان المراد آحاد الكلام فهذا غلط ، فإن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحدث بعضه بعد بعضا، فإن الله تكلم بالتوراة قبل أن يتكلم بالقرآن، ويتكلم يوم القيامة بكلام لم يتكلم به من قبل.

ولذلك فإن قول جماعة من أهل السنة: (إن القرآن قديم) مجمل فإن كانوا يقصدون أن القرآن قديم من جهة كونه كلاما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الله لم يزل متكلما فهذا حق، وإن كان المراد أن آحاد كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديمة؛ فهذا غلط، فإنه مخالف لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء:٢]، فقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يعني يحدث بعضه بعد بعض.

لم يزل ولا يزال متكلّما، ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته، وأنّه يُسمع تارة من الله ﷻ وتارة من التّالي، فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولّىٰ خطابه بنفسه، لا واسطة، ولا ترجمان، كنبيّنا محمّد ﷺ ليلة المعراج لَمّا كلّمه، وموسىٰ علىٰ جبل الطّور، فكذلك سبيل من يتولّىٰ خطابه بنفسه من ملائكته، ومن عدا ذلك فإنّما يسمع كلام الله القديم علىٰ الحقيقة من التّالي وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع.

قوله: (ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته) يعني لا يجوز أن تكون صفة الكلام منفصلة عن الله ﷻ بائنة منه؛ بل صفاته سبحانه تبع لذاته.

وقوله: (ولا ترجمان) يجوز فيها ضم أولها وثالثها فتقول: (تُرجُمان)، ويجوز فتح أولها وثالثها فتقول: (تَرجَمان)، ويجوز فيها لغة ثالثة وهي فتح أولها وضم ثالثها فتقول: (تَرجُمان)، فهذه ثلاث لغات فيها.

قوله: (وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع) أي أن الله تكلم بحرف وصوت، وهذه الجملة من أحسن ما يفسر القول ابن فارس في «مقاييس اللغة» لما ذكر الكلام فقال: (هو نطق مفهم) فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (نطق) يفسره المصنف هنا (صوت مسموع) وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (مفهم) يفسره قول المصنف هنا: (وهو حرف مفهوم).

ثمّ الإيمان بأنّ الله – جلّ ذكره – واحد لا يشبهه شيء، ولا نُشَبّه صفاته، ولا نكيّفه، ولا يُكيّف صفاته وَهَم، وأنّما وَقع في الوهم فالله وراء ذلك.

مقصوده (فالله وراء ذلك) يعني فإن الله ﷻ أعظم من ذلك، وهي القاعدة التي يصوغها بعض أهل السنة بقوله: (كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك) ومرادهم (بخلاف ذلك) أن الله ﷻ لا يقدر قدره أحد، وفي شعر بعض الشناقطة:

وكل ما يخطرُ في الجوانح ... من التَّصورات والجوارح
فربنا الله العظيمُ المالكْ ... عَز وجل بخلاف ذلكْ

وأنّه حيّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلّم بكلام، مريد بإرادة، آمر بأمر، ناه بنهي.. ونقرّ بأنّه خلق آدم بيده لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].. وأنّ له يمينًا بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزّمر:٦٧]. وأنّ له وجها لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرّحمن]. وأنّ له قدما لقول النّبيّ ﷺ: «حَتّىٰ يَضَع الرّبّ فيها قدمه» يعني جهنّم. رواه أحمد والبخاريّ ومسلم وأبو عيسىٰ التّرمذيّ وغيرهم..

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (رواه أحمد والبخاري ومسلم) إلىٰ آخره، إنما قدم أحمد هنا لجلالته أو كونه إماما في المذهب الذي ينتحله المصنف، وقاعدة التخريج التي ينبغي الصير إليها كما ذكرها الدمياطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في مقدمة « المتجر الرابح» أن الحديث إذا كان في «الصحيحين» أو أحدهما لم ينبغي العدول الىٰ عزوه الىٰ سواهما ولا ذكر شيء معهما، إذ ذكر «الصحيحين» كافٍ في اثبات التخريج والصحة، فكان ينبغي من المصنف أن يقتصر علىٰ عزوه إلىٰ الشيخين فإنه أوفق وأظهر وأنفع للقارئ والطالب.

وأنّه ينزل كلّ ليلة إلىٰ سماء الدّنيا لقول رسول الله ﷺ: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلىٰ سماء الدّنيا حين يبقىٰ ثلث اللّيل الآخر» وهٰذا لفظ البخاريّ.

وقد روىٰ حديث النّزول أحمد ومالك والبخاريّ ومسلم وأبو عيسىٰ التّرمذيّ وأبو داود وابن خزيمة والدّارقطنيّ وأئمّة المسلمين.

وأنّه يضحك إلىٰ عبده المؤمن لقول رسول الله ﷺ: «يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنّة: يقاتل هٰذا في سبيل الله فيُقتل، ثمّ يتوب الله علىٰ القاتل فيقاتل في سبيل الله فيُستشهد» رواه البخاريّ وغيره.

ونقرّ بأنّ لله نفسا ليست كالنّفوس لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران:٢٨] وقوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه] وروىٰ البخاريّ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:«يقول الله ﷻ: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه متىٰ ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي».

ونقرّ بأنّ الله علىٰ العرش استوىٰ، كذلك نطق به القرآن في سبع سور: في الأعراف، ويونس، والرّعد، وطه، والفرقان، وتنزيل السّجدة، والحديد.

ونقرّ بأنّ «الرّحمن خلق آدم علىٰ صورته» رواه أحمد ابن حنبل وابن خزيمة وغيرهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (رواه أحمد ابن حنبل وابن خزيمة وغيرهما) هذا الحديث مروي في «صحيح البخاري» ، فالجادة أن يكون عزوه إلىٰ «صحيح البخاري».

ورُوي: «علىٰ صورة الرّحمن» رواه الدّراقطنيّ، وأبو بكر النّجاد، وأبو عبد الله بن بطّة وغيرهم.

هذه الرواية مفسرة التي فيها «إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرَّحمٰن» فيها بحثان:

أحدهما: بحث من جهة الرواية.

والآخر: بحث من جهة الدراية.

فأما **البحث من جهة الرواية** ، فإن التصريح بهذه الزيادة لم يأت في شيء من طرق الحديث الصحيحة ، بل التصريح بها ضعيف عند أهل العلم بالحديث.

وأما **البحث الثاني من جهة الدراية**، فإن المعنىٰ الذي دلت عليه هذه الزيادة هو المعنىٰ الذي يعتقده أهل السنة والجماعة، فالحديث السابق الذي رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته » معناه إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرب ﷻ، وقد نقل أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في نقده علىٰ الرازي (إجماع الصحابة فمن بعدهم ،علىٰ هذا الاعتقاد)، وأن المقصود بالحديث ليس رد الضمير الىٰ آدم «إن الله خلق آدم علىٰ صورت» يعني علىٰ صورة آدم بل هذا قول الجهمية ،وقول أهل السنة إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرب ﷻ ، وهذا بأنواع التكريم الذي كرم الله ﷻ بها بني آدم.

ونقرُّ بأنّ لله أصبعا، روىٰ عبد الله قال: (جاء حبر من أحبار اليهود إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إذا كان يوم القيامة جعل الله السّموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والجبال والشّجر علىٰ إصبع، والماء والثّرىٰ علىٰ إصبع ثمّ يهزُّهنّ، ثمّ يقول: أنا الملك، أنا الملك.

قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتّىٰ بدت نواجذه تعجّبا مِمّا قال، وتصديقا له، ثمّ قال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزّمر].

أخرجه هبة الله الطّبريّ والبخاريّ ومسلم وأبو عيسىٰ التّرمذيّ، ولفظه:

أخبرني المبارك بن عبد الجبّار الصّيرفيّ في حلقة والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجامع المنصور بإسناده عن عبد الله قال: جاء يهوديّ إلىٰ النّبيّ ﷺ فقال: يا محمّد، إنّ الله يمسك السّموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والخلائق علىٰ إصبع، ثمّ يقول: أنا الملك.

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتّىٰ بدت نواجذه وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ قال أبو عيسىٰ: هٰذا حديث حسن صحيح.

وفي لفظ آخر قال: «فضحك النّبيّ ﷺ تعجّبا وتصديقا».

قوله (وتصديقًا له) هذه الجملة في رد علىٰ من زعم أن النبي ﷺ ضحك سخرية منه، وأن هذا الحديث لا يستدل به علىٰ إثبات الإصبع فأن هذه المقالة باطلة من وجهين:

أما أحدهما: فإن هذا الذي عبر بأن النبي ﷺ ضحك تصديقا هو عبد الله بن مسعود ، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم مقدم علىٰ غيرهم فهو أصح وأظهر.

وأما الأمر الثاني: فإنه لو كان النبي ﷺ أراد بالضحك السخرية والهزاءة لهذا اليهودي ، فإنه لا لم يكن ﷺ ليقتصر عليه بالإنكار؛ لأن الضحك محتمل للإنكار عليه بالسخرية، ومحتمل لعدم الانكار ،ولم يكن من النبي ﷺ ليسكت علىٰ منكر كما ذكره أبو بكر ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «كتاب التوحيد».

وتقدم أن العزو إذا كان الحديث في «الصحيحين» فإنه يكتفىٰ به كما ذكره المصنف من تقديم هبة الله الطبري واللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ فيه نظر علىٰ ما استقر عند أهل العلم ، ولعله قدمهم لأن له كتابا مفردا في اعتقاد أهل السنة والجماعة، لكن الجادة كما سلف أن يُكتفىٰ بالعزو إلىٰ «الصحيحين» أو أحدهما.

وروىٰ البخاريّ في «صحيحه» بإسناده في تفسير سورة (ن) عن أبي سعيد قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، ويَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا».

قوله ﷺ (طَبَقا واحدًا) هو بتحرك الطاء الباء الموحدة، والمراد أنه يكون كقطعة واحدة لا انثناء فيها ، فلا يمكن من السجود لرب ﷻ، وهذا جزائه لما كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة عاقبه الله ﷻ لما احتاج إلىٰ السجود في الآخرة.

وروىٰ البخاريّ بإسناده عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ». وروىٰ البخاريّ بإسناده عن عبد الله بن عمر ﵄ قال: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عَيْنِهِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وهذا الحديث حجة في إثبات العينين للرب ﷻ ، فإنه لم يأت في القرآن الكريم ولا في شيء من الأحاديث الصحيحة التصريح بإثبات العينين لله ، **وكل حديث جاء فيه التصريح بإثبات العينين لله فهو حديث ضعيف.**

وإنما الحجة في الباب هو هذا الحديث كما ذكره أبو عبد الله أحمد ابن حنبل وغيره من أئمة السنة ،فإن معنىٰ نفي العور عن الرب ﷻ أن يكون له جل شأنه وتعالىٰ سلطانه عينان اثنتان، فإن العرب تعرف أن العور ذهاب عين وبقاء أخرىٰ، وكمالها المخالف إثبات العينين معا، ومن ظن أن هذا قياس للخالق علىٰ المخلوق فقد غلط علىٰ أئمة السلف رحمهم الله، فإنهم لم يريدوا القياس وإنما أرادوا أن هذا هو المعنىٰ المعروف في لغة العرب، ونحن متعبدون بالقرآن الكريم والسنة النبوية باللسان العربي، فدل اللسان العربي علىٰ أن الرب ﷻ له عينان اثنتان بهذا الحديث.

فإن اعتقد معتقد في هٰذه الصّفات ونظائرها ممّا وردت به الآثار الصّحيحة التّشبيهَ في الجسم والنّوع والشّكل والطّول فهو كافر.

وإن تأولّها علىٰ مقتضىٰ اللّغة وعلىٰ المجاز فهو جهميّ.

وإن أمرّها كما جاءت، من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصّحّابة والتّابعون، فهو الواجب عليه.

فهذه الجملة ذكر المصنف فيها شيئا من المذاهب الرَّدية في باب الصفات، ثم ختم بذكر طريقة أهل الحديث والسنة، فذكر أن من اعتقد هذه الصفات التي جاءت بالقرآن الكريم والسنة النبوية أنها علىٰ وجه التشبيه، وشبَّه صفات الرب ﷻ بصفات خلقه فإنه قد كفر، كما قال نعيم بن حماد من أئمة السنة (من شبه الله بخلقه كفر)، وكذلك من عدل بها عن المعنىٰ المعروف بلسان العرب فأوَّلها أو حملها علىٰ المجاز ونظائر ذلك فهذا قد وقع في التجهم، وأصل التجهم عند السلف إرادة نفي الصفات سواءً كان تجهما حقيقيا أو تجهُّما حكميًّا.

فالتجهم الحقيقي: كأن ينفي القائل به صفات الرب ﷻ، فينفي الوجه واليد والنفس ونظائرَ ذلك.

والتجهم الحكمي: ألا يصرح بنفي وإنما يعدل بها عن معانيها المعروفة بلغة العرب إلىٰ شيء يزعم أنه مقتضىٰ اللغة أو أنه مجاز المعتبر فيها.

ثم ذكر المصنف طريقة النجاة وجادة السلامة في هذا الباب، فذكر أنه إمرارها من غير تأويل ولا تفسير ولا تجسيم ولا تشبيه، والمقصود بالإمرار شيئان اثنان:

أحدهما: إثبات ألفاظها التي جاءت في القرآن والسنة.

والثاني: إثبات معانيها التي تعرفها العرب في لسانها.

فمثلا (اليد) في القاعدة الأولىٰ: نثبت اللفظ وأن لله ﷿ يدا.

والقاعة الثانية: نثبت لله يدا هي المعنىٰ الذي نعرفه من لسان العرب مع الفرق بين صفات الرب ﷻ وصفاتنا، فإن لله صفات تليق بجلاله وإن للمخلوق صفات تناسب حاله.

فالله ﷿ موصوف بالسمع والبصر، والمخلوق موصوف بالسمع والبصر، كما قال الله ﷻ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ]، وقال ﷻ في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾[الإنسان]، فأثبت الرب لنفسه السمع والبصر وأثبت

للإنسان السمع والبصر؛ لكنما شتان بين وصف الرب ﷻ وبين وصفنا، فصفة الرب تليق بجلاله وصفاتنا تناسب حالنا.

وقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (ولا تفسير) المراد نفي التفسير الباطل الذي يخالف ما تعرفه العرب بلسانها، وليس المراد المنع من بيان معاني الصفات فإن هذه طريقة المفوضة، وما يوجد في كلام السلف من هذا فإنه ليس مرادا لقول أبي عبد الله أحمد ابن حنبل: (نؤمن بها بلا كيف ولا معنىٰ) فقوله: (ولا معنىٰ) ليس المراد تفويض المعنىٰ إلىٰ الرب ﷻ بل المراد نفي المعنىٰ الباطل الذي تدعيه الجهمية وغيرها.

ويجب الإيمان بالقدر: خيره وشرّه، وحلوه ومرّه، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيّئه، وأوّله وآخره، من الله.

قضىٰ قضاءه علىٰ عباده، وقدّر قدره عليهم، لا أحد يعدو منهم مشيئة الله ﷻ ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلّهم صائرون إلىٰ ما خلقهم له، واقعون فيما قُدّر عليهم لا محالة.

وهو عدل من ربّنا ﷻ فأراد الطّاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبّها، وأمر بها، ولم يأمر بالمعصيّة، ولا أحبّها ولا رضيها، بل قضىٰ بها، وقدّرها، وشاءها وأرادها، والمقتول يموت بأجله.

من صيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذه الجملة بالإيمان بالقدر في قوله: (والمقتول يموت بأجله) أراد به الرد علىٰ المعتزله الذين يزعمون أن المقتول قطع عليه أجله ،وأما أهل السنة فإنهم يعتقدون أن من قتل فإنه مات بأجله.

ثـمّ الإيمـان بعـذاب القـبر، وبمنكـر ونكيـر، قـال الله تعـالىٰ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طـه:١٢٤] قـال أصحاب التّفسير: عذاب القبر.

وقال النّبيّ ﷺ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «كيف بك وملكا القبر فتّانان أسودان أزرقان أعينهما كـالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرّعد القاصف، يطآن في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما، بيدهما مرزبة لـو ضـرب بها الثّقلين لماتوا» قال عمر رضي الله عنه: علىٰ أيّ حالة أنا يومئذ؟

قال: «علىٰ حالتك اليوم».

قال: إذاً أكفيكهما يا رسول الله. [(١)]

وروىٰ البخاريّ بإسناده عن أمّ خالد قالت: سمعت النّبيّ ﷺ يتعوّذ من عذاب القبر.

وقال النّبيّ ﷺ: «لو نجا أحد من ضمّة القبر أو ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ».

ثمّ من بعد ذلك الإيمان بصيحة النّشور، وبصوت إسرافيل للقيام من القبور، فتُلزم القلب أنّك ميّت ومضغوط في القبر، ومُساءَل في قبرك ومبعوث من بعد الموت فريضة لازمة، من أنكر ذلك فهو كافر.

قوله: (بمنكر ونكير) هما الملكان الأسودان الأزرقان اللذان يأتيان العبد في القبر، وهما يُنكران ويعرفان ، فيصح أن تقول: (المُنكر والنَّكير) أو تقول: (مُنكرٌ ونكير) ، وفي منكر لغتان:

أحداهما: فتحُ كَافه.

والآخر: كسر كافه.

فيصح أن تقول: (مُنكَر) ويصح أن تقول: (مُنكِر)، فقد حكىٰ هاتين اللغتين الصنعاني رحمه الله تعالىٰ في «شرح أبيات التثبيت» وجزم الفيروز آبادي والسيوطي بتقديم الفتح فيقال: (المُنكَر) ويقال: (المُنكِر) إلا أن الفتح عند أهل العلم أشهر ، ويصح أن تقول: (مُنكَر) بالتنكير أو تقول: (المُنكَر) بالتعريف ، وقد أشرت إلىٰ ضابط هذه المسألة بقولي:

المُنكـرُ والنَّكيـرُ عَـرِّفن ونكِّـرا   وافـتحن الكـاف أولٍ أو اكسـرا

---

(١) هذا الحديث الذي ذكره المصنف قد رواه أبو داود في (كتاب البعث) والبيهقي في (إثبات عذاب القبر) وقال الذهبي رحمه الله تعالىٰ في «ميزان الاعتدال »: هذا خبر منكر.

ثمّ الإيمان بالبعث والصّراط، وشعار المؤمنين يومئذ: سَلِّم سلّم. والصّراط جاء في الحديث: «أنّه أحدّ من السّيف وأدقّ من الشَّعر».

وقوله: (شعار المؤمنين يومئذ: سلم سلم) مجموع الأخبار الواردة في «الصحيحين» دل على ثلاثة أمور:

الأول: أن هذا شعار الرسل جميعا، وهذه رواية «الصحيحين» جميعا.

الثاني: أن هذه دعوة النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «(ونبيك » يعني محمد ﷺ « قائم يقول: سلم سلم».

الثالث: أن هذه دعوا المؤمنين جميعا، وهذه جاءت في «صحيح مسلم» فقط.

ثمّ الإيمان بالموازين، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال عبد الله بن مسعود: (يؤتىٰ بالنّاس إلىٰ الميزان فيتجادلون عنده أشدّ الجدال).

وقال النّبيّ ﷺ: «الميزان بيد الرّحمن يخفضه ويرفعه».

ثُمّ الإيمان بالحوض والشّفاعة، وقال النّبيّ ﷺ: «إنّ لي حوضا ما بين أيلة وعدن - يريد أنّ قدره ما بين أيلة وعدن - أباريقه عدد نجوم السّماء».

وقال أنس بن مالك: من كذّب بالحوض لم يشرب منه.

(أيلة) بفتح أوله وسكون ثانيه وتحريك ثالثه، ذكر الفيروز آبادي أنه جبل بين مكة والمدينة قرب ينبُع، وذكر كذلك أن ثَم بلدة هناك تسمىٰ بهذا الاسم، وأما (عدن) فهي إحدىٰ بلاد اليمن المشهورة.

ثمّ الإيمان بالمساءلة، أنّ الله تعالىٰ جلّ ذكره يسأل العباد عن كلّ قليل وكثير في المواقف وعن كلّ ما اجترموا.

ثمّ الإيمان بأنّ الله خلق الجنّة والنّار قبل أن يخلق الخلق.

ونعيم الجنّة لا يزول أبدا، والحور العين لا يمتن.

وعذاب النّار فدائم بدوامها، وأهلها فيها مخلّدون خالدون، من خرج من الدّنيا غير معتقد للتّوحيد ولا متمسّك بالسّنّة.

فأمّا المسيؤون الموحّدون فإنّهم يخرجون منها بالشّفاعة.

وقال النّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي».

وأطفال المشركين في النّار.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأطفال المشركين في النار) هذا مذهب جماعة من أهل السنة ونسب الىٰ الإمام أحمد إلا أنه غلط عليه كما ذكره أبو العباس ابن تيمية الحفيد رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، والصحيح كما اختاره جماعة من المحققين منهم أبو العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن كثير في تفسيره (أن أطفال المشركين أصح فيهم قول النبي ﷺ لما سُئل عنهم قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين») فالوقوف علىٰ الحديث الصحيح أولىٰ وأسلم.

ثـمّ الإيمـان بـأنّ محمّـدا نبيّنـا ﷺ، خـاتم النّبيّـين، وسـيّد المرسـلين، وإمـام المتّقـين، ورسـول ربّ العالمين، بعثه إلينا، وإلىٰ الخلق أجمعين، وهـو سيّد ولـد آدم، وأوّل مـن تنشـقّ عنه الأرض، فـآدم ومـن دونه تحت لوائه،الشّاهد لكلّ نبيّ، والشّاهد علىٰ كلّ أمّة، أخذ الله تعالىٰ ميثاق الأنبياء بالإيمان والبشارة به، ووصفه، وتبيانه في كتبهم مع ما اختصّه الله به من قبل النّبوة وبعدها من الآيات المعجزات الباهرات.

ما يقع في كلام بعض أهل العلم من قولهم: (المعجزات) عدول عن المستعمل في القرآن والسنة من تسميتها (آيات) وهذا اللفظ إنما يعرف عن المعتزلة ثم دخل علىٰ أهل السنة كما ذكره أبو العباس ابن تيمية في كتابه (النبوات).

وكان قدماء السلف لا يسمونها معجزات الأنبياء وإنما كانوا يسمونها (دلائل النبوة) وصنف فيها جماعة علىٰ هذا النمط من أوسع الكتب فيها ومن كتبهم كتاب أبي بكر البيهقي المسمىٰ بـ «دلائل النبوة».

ومن ذلك كتابه المهيمن علىٰ كلّ كتاب، والمخبر عنها، والشّاهد لها، والمصدّق بها، ولا يشبه الشّعر، ولا الرّسائل، البائن علىٰ كلّ كلام، بزع الأسماع والأفهام، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي عجزت الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير، كتاب جمع فيه النّظم، والإعجاز، والبسط والإيجاز، والفصاحة والبلاغة، والتّحذير، والزّجر، والأمر بكلّ طاعة وتكرمة وأدب، والنّهي عن كلّ منكر وسرف ومعصية وفعل قبيح مذموم، والتّعبّد بكلّ فعل شريف مذكور من طهارة وصلاة وصيام وزكاة وحجّ وجهاد وصلة الأرحام، والبذل والعطاء والصّدق والوفاء والخوف والرّجاء، وما يكثر تعداده مِمّا لا يُحصىٰ، مع محاجّته ﷺ لقومه حين قالوا: ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ ﴾ [يونس: ١٥] فأجابهم: ﴿ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ [يونس: ١٥].

ثمّ قال لهم: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ [يونس] يعني أربعين سنة إنّي يتيم فقير، لا أكتب ولا أختلف إلىٰ معلّم، ولا ساحر ولا كاهن ولا شاعر، أفلا تدبّرون ذلك، وتعلمون أنّ هٰذه الآية لا يقدر عليها إلّا الله.

قال: فإن لم تفعلوا فيما مضىٰ ولن يفعلوا فيما يستقبلون، فجعل هٰذه الآية في القرآن في حياته وبعد وفاته لا يقدر أحد أن يأتي بمثله أو سورة منه علىٰ نظمه وتأليفه وصدقه، وصحّة معانيه وكبر فوائده وعلومه، ومع عجز الخليقة عن إدراك فهمه وبلوغ نهاية علمه وإخباره ﷺ في زمن زبر الأوّلين والآخرين، بقوله: ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ [الروم] وبقوله: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥ ﴾ [القمر] فأخبر بذلك قبل كونه.

وقال تعالىٰ: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ ﴾ [هود: ٤٩].

قوله: (بزع الأسماع والأفهام) يعني قرعها وشقَّها وكان له أثرٌ عظيم فيها.

(تكرِمه) بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه، والمراد من (تكرمة) التكريم، وقد كتب في هذا هامش المخطوط كما ذكر محقق هذه الرسالة كتب صوابه (مَكرَمة) وكيف ما كان فإن السياق صحيح منضبط.

وله ﷺ الآية العظمىٰ التي ظهرت له في الأرض والسّماء، التي لم يشركه فيها بشر، ولم يبلغ الذي بلغه أحد من النُّذر، التي إذا تدبّرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أنّ الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرّتب، ما فضله بها علىٰ الأولّين والآخرين، وهو أنّه ركب البراق، وأتىٰ بيت المقدس من ليلته، ثمّ عُرج به إلىٰ السّموات، فسلّم علىٰ الملائكة والأنبياء، وصلّىٰ بهم، ودخل الجنّة، ورأىٰ النّار، وافتُرِض عليه في تلك اللّيلة الصّلوات، ورأىٰ ربّه، وأدناه وقرّبه وكلّمه، وشرّفه،وشاهد الكرامات والدّلالات، حتّىٰ دنىٰ من ربّه فتدلّىٰ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ.

وأنّ الله وضع يده بين كتفيه فوجد بردها بين ثدييه، فعَلِمَ عِلْمَ الأوّلين والآخرين، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] وهي رؤيا يقظة لا منام.

ثمّ رجع في ليلته بجسده إلىٰ مكّة.

وأخبر في كتابه أنّه يعطيه في الآخرة من الفضل والشّرف أكثر مِمّا أعطاه في الدّنيا بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحىٰ].

هذه الجملة التي ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أراد بها إثبات أن الرسول ﷺ لما عرج به إلىٰ ربه أنه رأىٰ ربه بعينيه ، وهذا مذهب بعض أهل السنة ، والصحيح هو أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه ومن أثبت من الصحابة الرؤية فإنما أراد رؤية قلبية كما جاء هذا عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولم يقل أحد من الصحابة أن النبي ﷺ رأىٰ ربه بعيني رأسه لما عرج به ، وإنما القائل منهم بذلك إنما يريد الرؤية القلبية، وأما الرؤية البصرية فإنها لا تكون لأحد في الدنيا كما ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «وإن أحد منكم لن يرىٰ ربه حتىٰ يموت» وقوله ﷺ: «وإن أحد منكم» يشمله ﷺ كما يشمل غيره كما هو الصحيح عند الأصوليين.

وبما له في الآخرة من (المقام المحمود) الذي لا يدانيه فيه أحد من الأوّلين والآخرين.

فنقلت من تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد في أخبار المكّيين بإسناده عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء] قال: يجلسه على العرش.

فنقلت من تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد في أخبار المكّيين بإسناده عن مجاهد في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء] قال: يجلسه على العرش.

وروى أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة بإسنادهما عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ قال: يقعده على العرش. وكذلك روى عبد الله بن أحمد بإسناده عن مجاهد.

وقد روى إسحاق بن راهويه عن ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على العرش.

وقال ابن عمير: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسئل عن حديث مجاهد: يقعد محمّدا على العرش فقال: قد تلّقته العلماء بالقبول، نسلّم هذا الخبر كما جاء.

وقال ابن الحارث: نعم يقعد محمّدا على العرش.

وقال عبد الله بن أحمد: وأنا مُنْكِرٌ على كلّ من ردّ هذا الحديث.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (مقاما محمودا) قال: يقعده على العرش.

روى هذه الأخبار شيخنا أبو بكر المروزيّ وصنّف في ذلك كتابا كبيرا، ورواه والدي رحمه الله فيما أجازه لنا بإسناده عن ابن عمر عن النّبيّ ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على السّرير.

وبإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: «وعدني ربّي القعود على العرش».

وبإسناده عن ابن عمر، قال لي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: سألت النّبيّ ﷺ عمّا يوعده ربّه -جلّ اسمه-، فقال: «وعدني المقام المحمود وهو: القعود على العرش».

وله الحوض الموعود في اليوم الموعود».

هذه المسألة التي أطال المصنف فيها هي إحدى المسائل الكبار عند الحنابلة، وهي تفسير (المقام المحمود) بأن الرب سبحانه وتعالى يقعد محمدا ﷺ على عرشه، ومسألة الاقعاد لها مأخذان:

المأخذ الأول: أن يراد بنفيها نفي علو الرب سبحانه وتعالى وهذا الذي أنكره الأئمة كأحمد وابنه عبد الله، فإن جماعة من الجهمية كانوا يتذرعون إلى نفي علو الله ﷻ بإبطال هذه المسألة فهم ينفون إقعاد الرسول ﷺ على العرش، لأنهم يقولون بعدم علو الرب سبحانه وتعالى.

المأخذ الثاني: فهو من يردها من جهة الرواية وأنه لا يعرف بها حرف صحيح عن النبي ﷺ ولا عن

الصحابة وهذا حق، مع قوله في اثبات العلو، فلا ريب أن الله ﷻ بائن من خلقه مستو علىٰ عرشه، وأما هذا الخبر بعينه فإنه كما ذكر أبو العباس ابن تيمية الحفيد وغيره ليس فيه شيء ثابت عن النبي ﷺ و لا عن الصحابة، وأقصىٰ ما يكون أنه معروف عن مجاهد، وقد ذكر أبو عمر ابن عبد البر (أن من أقوال مجاهد المهجورة) قوله في تفسير (المقام المحمود) بأنه إقعاد الرب سبحانه لرسوله ﷺ علىٰ العرش ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح (أن المقام المحمود) هو الشفاعة التي يعطاها النبي ﷺ = فعلم بهذا عدم قوة هذه المقالة ، لا من جهة إرادة ما يردون النفاة من الجهمية وإنما عند أهل السنة المثبتين للعلو فإنهم لا يثبتون هذا المعنىٰ لأن تفسير المقام الشفاعة أصح وأقوىٰ.

قوله: (وله الحوض الموعود في اليوم الموعود) لعل صوابه: (وله الحوض المورود في اليوم الموعود) هذا هو المعروف في لسان أهل العلم.

وتوعّد من رفع صوته علىٰ نبيّه ﷺ بذهاب عمله وبطلانه، فقال ﷻ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات].

وأدّبهم في محاورة نبيّه - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - وخطابه، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣] لا تقولوا: يا أحمد، يا محمّد، يا أبا القاسم، أي قولوا: يا رسول، ويا نبيّ الله كما قال ﷻ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] فأمرهم بتعظيمه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

كما عظّمه وشرّفه في خطابه علىٰ سائر أنبيائه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وخاطب الأنبياء بأسمائهم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿يَٰنُوحُ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الأعراف:١٤٤]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فأقام أمره ونهيه مقام القرآن ونهيه.

وجمع له بين صفتين من صفاته، فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

ولم يقسم لأحد بالرّسالة إلّا له، فقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس].

وقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (ولم يقسم لأحد بالرسالة إلا له) فستدل علىٰ ذلك بآيتين:

فأما استدلاله الآية الثانية فصحيح وأن المقسم به هو النبي ﷺ كما هو جمهور السلف والخلف، خلافا لبعض المعتزلة كالزمخشري في «تفسيره» ولا يُؤبه لمثل قوله.

وأما الآية الأولىٰ فالقول بأن المقسم به هو النبي ﷺ مبني علىٰ أن النداء في أول آيات فيه أريد النبي ﷺ وأن من أسمائه ﷺ (يس) وهذا قول ضعيف؛ بل الصحيح أن (يس) معناها (يا انسان) بلسان الحبشه، ومثل هذا (طه) فليس من اسمائه ﷺ (طه)؛ بل هي بمعنىٰ (يا رجل) هاتين الآيتين يتوهم كثير من الناس أن من أسماء النبي ﷺ (طه ويس) ولا تشهد بذلك اللغة ولا المنقول عن أئمة السلف في تفسير هذين الحرفين.

وقال في حقّ إبراهيم: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الشعراء] فأجابه إلىٰ ذلك وابتدأ به نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من غير سؤال فقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم: ٨].

وقال موسىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ [طه] فأجابه الله إلىٰ ذلك فقال: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه].

وقال لنبيّنا ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح].

وغفر ذنبه مع ستره، وغفر ذنب غيره مع ظهوره: فقال: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه] وقال في داود: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص]

وقال: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ص].

وقال: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [الأنبياء: ٨٧] إلىٰ قوله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

وقال لنبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] ولم يذكر ذلك الذّنب، وقال: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح] ولم يذكر الوزر.

ثمّ الإيمان بأنّ خير الخلق بعد رسول الله ﷺ، وأعظمهم منزلة بعد النّبيّين والمرسلين وأحقّهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصّديق رضوان الله عليه.

ثمّ بعده علىٰ هٰذا التّرتيب أبو حفص عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثمّ ذو النّورين عثمان بن عفّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثمّ علىٰ هٰذا النّعت والصّفة أبو الحسن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

و نشهد للعشرة بالجنّة وهم أصحاب النّبيّ ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزّبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرّحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة بن جرّاح.

ثمّ التّرحّم علىٰ جميع أصحاب الرّسول ﷺ أوّلهم وآخرهم، وذكر محاسنهم، ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي ربّ العالمين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومعاوية خال المؤمنين) وقع إثبات الخؤولة له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كلام جماعة من الأئمة المقتدىٰ بهم كأحمد ابن حنبل كما في «السنة» للخلال، وكابن أبي داود في قصيدته المعروفة «الحائية»، وكابن قدامة في «لمعة العتقاد».

ولأهل السنة في إثبات هذه الخؤولة قولان حكاهما أبو العباس ابن تيمية في كتابه «المنهاج » والكرماني في «شرح البخاري»، فمن أهل السنة من يرىٰ إطلاقها ويثبت الخؤولة لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومنهم من يمنعها.

والصحيح من ذلك التفصيل:

فإن كان المراد (بالخؤولة) خؤولة يَثبتُ بها التعظيم وشرف الرتبة فلا ريب في ذلك، فإن النبي ﷺ قد انتخب أصهاره وكونهم أصار له ﷺ أمر يسوغون له ويعظمون، وهذا مأخذ من أثبتها.

وإن كان المراد بالخؤولة خؤولة تترتب عليها أحكام النسب، فهذا مردود وهو الذي حمل من نفىٰ هذه المقالة حمله علىٰ نفيها خشية أن يفهم أن المراد بإثبات الخؤولة إثبات أحكام النسب المترتبة عليها.

وهذا أمر لا يختص بمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل بقية أصهار النبي ﷺ يقع فيهم هذا الخُل، لكن لما كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن امتحن به الناس كان كلام أهل العلم متعلقا به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويجب هِجران أهل البدع والضّلال كالمشبّهة والمجسّمة، والأشعريّة، والمعتزلة، والرّافضة، والمرجئة، والقدريّة، والجهميّة، والخوارج، والسّالميّة، والكراميّة، وبقيّة الفرق المذمومة.

فهٰذا اعتقادي وما أدين به لربّي، وهو الذي مضىٰ عليه والدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحمد لله، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وعلىٰ آله أجمعين

وهذا الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بقوله (فهذا اعتقادي وما أدين به لربي) ليس المراد به اعتقاده دون بقية المسلمين ، ولكنه لما كان حافيا عن اعتقاده رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ نسبه الىٰ نفسه ، أما طريقة أهل السنة والجماعة فإنهم لا ينسبون الاعتقاد إلىٰ أنفسهم ، ولذلك لا تجدون شيئا من عقائد أهل السنة ينسبها صاحبها إليه، وإن ونسبها غيره كالعقيدة الطحاوية مثلا فإن مصنفها لم يسمها عقيدة الطحاوي ولكن من جاء بعدهم سماها بهذا الاسم نسبة إليه، أما أصحاب المذاهب الردية فإن اعتقادهم ينسب إليهم كما يقال: الجهمية والقدرية، وأشباه هذا من المذاهب الردية.

ثم في قوله (وهو الذي مضىٰ عليه والدي) تعريف باعتقاد والده الامام الشهير أبو يعلىٰ الفراء الحنبلي، وهو إمام شهير عند الحنابلة.

هذه جملة ما يتعلق بالتقرير علىٰ هذا الكتاب، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم علما نافعا وعملا صالحا، وأن يزيدنا قوة ورشدا وعونا ومددا، والحمد لله رب العالمين.